تلخيص محاضرة

كانَ خُلقُه القُرآن

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٦ / ٣ / ١٤٤٢ هـ
٢ / ١١ / ٢٠٢٠ م

من المنح في طيات المحنة التي تعيشها الأمة خلال هذه الأسابيع أننا اقتربنا أكثر من سيرة النبي ﷺ؛ فزادتنا شوقًا إليه وأصبحت تستحث فينا البحث في هديه ﷺ.

ومن أهم الأمور التي نعرفها عنه ﷺ هي أخلاقه العالية التي كان يتعامل بها مع الناس. وحين نتحدث عن أخلاقه دوماً تأتي تلك الكلمة التي وصفته بها أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- (كانَ خُلقُه القُرآن).

حينما تتعامل مع الآخرين قد يكون من السهل عليك إظهار الجانب الجيد فيك لهم، ولكن مع من تحتك معهم بشكل يومي والقريبين منك قد يكون صعبًا؛ لأنك ستظهر على حقيقتك، لذلك دعونا ننظر إلى النبي ﷺ ونتأسى بهديه في تلك المواطن.

كيف كان هدي النبي ﷺ مع من يحب إذا اختلف معه!

-مواقف-

الموقف الأول:

حصل هذا الموقف بين الأنصار ورسول الله ﷺ بعد فتح مكة حينما عفا النبي ﷺ عن أهل مكة الذين آذوه فأسلم بعدها ١٠ آلاف شخص. فلما صارت غزوة حنين الجيش كله انهزم فنادى جعفر-رضي الله عنه- الأنصار والمهاجرين طلبًا من النبي ﷺ فعاد ٣٠٠ شخص من أصل ١٠ آلاف من المهاجرين والأنصار وكان معظمهم من الأنصار. فبعد انتصارهم غنم المسلمون غنائم عظيمة، فبدأ النبي ﷺ يوزع الغنائم كما يجب وبقي قسم منها لله ولرسوله ﷺ فوزعه على المؤلفة قلوبهم أي الذين لم ينضج إسلامهم بعد، ومنهم: أبو سفيان وبنوه والأقرع بن حابس وصفوان بن أمية وعيينة بن الحصن-رضوان الله عليهم-.

فالأنصار لما شاهدوا بأن الغنائم تتوزع ولم يختصهم النبي ﷺ ولا حتى بشاة واحدة رغم أن سيوفهم ما زالت تقطر من دماء المشركين، لم يفهموا لماذا رسول الله ﷺ يعطيهم كل هذا؟ لكنهم لا يملكون أن يتسخطوا على النبي ﷺ أو أنهم يعترضوا على ذلك ولكن قالوا: **(يغفر الله للرسول الله ﷺ الله لقي قومه فأعطاهم وتركنا)** أي أنهم عذروه قبل أن يعرفوا السبب -وهذا من سلامة صدر الأنصار-. ولما سمع رئيس الأنصار سعد بن عبادة - رضي الله عنه - ذلك لم يخبئها في صدره ولم يسكتهم حتى لا يكون في صدورهم شيء على النبي ﷺ، ولأنه يعلم يقيناً أن النبي ﷺ عادلاً، فذهب مباشرة إلى رسول الله ﷺ ليعلم ما الذي أساء قومه فهمه.

فسأل سعد ابن عبادة-رضي الله عنه- النبي ﷺ عن الحادثة، فرد عليه النبي ﷺ بسؤاله عما يعتقد سعد حول ما يقوله قومه، فقال: أنه امرؤٌ من قومه. لاحظ هنا سعد لم ينكر ما يقوله قومه أو تبرأ منهم بل قال إنه مثله مثل قومه يريد أن يعرف السبب.

فقالَ النبيﷺ:"اجمَعْ لي قَومَكَ في هذهِ الحظيرةِ فإذا اجتمَعوا فأعلِمني، فخرجَ سعدُ فصرخَ فيهِم فجمعَهم في تلكَ الحظيرةِ"

النبي ﷺ بعدما علم أن هناك سوء تفاهم لم يؤجل توضيح الموقف. ساعة. واحدة رغم. أنه. كان مشغولاً بعد عودته من الغزوة، إنما قال اجمعهم ليفهم منهم ويفهموا منه.

كما أن سعد -رضي الله عنه- كان واضحاً صريحًا أثناء حديثه مع النبي ﷺ لذلك كانت المعالجة واضحة.

ولاحظ أن النبي ﷺ أراد التكلم بنفسه مع الأنصار، لم يرسل سعد-رضي الله عنه- ليخبر قومه وإنما أراد أن يكون كلامه مباشر مع من وجدوا حرجاً في قلوبهم وألا يكون عن طريق ناقل.

فخرجَ إليهم النبي ﷺ ثمَّ قالَ:"يا معشرَ الأنصارِ ألَم آتِكُم ضُلَّالاً فهداكُم اللهُ، وعالةً فأغناكُم اللهُ، وأعداءً فألَّفَ اللهُ بينَ قلوبِكُم؟ قالوا: بلىَ!"

ألم تكونوا في ضلالة الشرك فهداكم الله، وعالة فقراء فأغناكم الله بما أعطاكم، وأعداء تحاربون بعضكم فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: نعم وهذا من أدب الأنصار أنهم أقروا النبي ﷺ فيما قاله. كان من الممكن أن يقول النبي ﷺ أنا لم أظلمكم في يوم ما أو أنا أعلم منكم بما يجب فعله، لكنه توقف إلى هنا لحكمته في حل النزاع.

قالَ النبي ﷺ:"ألا تجيبونَ يا معشرَ الأنصارِ؟ قالوا: وما نقولُ يا رسولَ اللهِ وبماذا نُجيبُكَ؟ المَنُّ للهِ ورسولِهِ. قالَ: واللهِ لَو شِئتُم لقُلتُم فصدَقتُم وصُدِّقتُم: جئتَنا طريدًا فآوَيناكَ، وعائلًا فآسَيناكَ، وخائفًا فأمَّنَّاكَ، ومَخذولًا فنصَرناكَ . . . فقالوا: المَنُّ للهِ ورسولِهِ"

ابتدأ النبي ﷺ فلم يجيبه أحد، فقال لهم مهما عاتبتم فأنتم صادقين.

لو قلتم إنني جئتكم مطروداً وجئتكم خائفاً مخذولاً من كل العالم فلم ينصرني سواكم فأنتم صادقين. فقالوا: الشكر والفضل لله ولرسوله! النبي ﷺ هنا لم يعتب عليهم لأنه كان يعلم أن قضيتهم لم تكن الدنيا، إنما كانوا يريدون التأكد من مكانتهم في قلب رسول الله ﷺ.

فقال ﷺ:"أوَجَدتُم في نُفوسِكُم يا مَعشرَ الأنصارِ في لُعاعَةٍ مِن الدُّنيا تألَّفتُ بِها قَومًا أسلَموا، ووَكَلتُكُم إلى ما قسمَ اللهُ لكُم مِن الإسلامِ!! أفَلا تَرضَونَ يا مَعشرَ الأنصارِ أن يذهبَ النَّاسُ إلى رِحالِهِم بالشَّاءِ والبَعيرِ وتذهَبونَ برسولِ اللهِ إلى رِحالِكُم؟ فَوَ الَّذي نَفسي بيدِهِ، لَو أنَّ النَّاسَ سَلَكوا شِعبًا وسَلَكتِ الأنصارُ شِعبًا، لسَلَكتُ شِعبَ الأنصارِ، ولَولا الهجرةُ لكُنتُ امْرَأً مِن الأنصارِ. اللَّهمَّ ارحَمْ الأنصارَ، وأبناءَ الأنصارِ، وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ. فبكى القَومُ حتَّى أخضَلوا لِحاهُم". **وقالوا: رَضينا باللهِ رَبًّا، ورسولِهِ قسمًا، ثمَّ انصرفَ وتفرَّقوا.**

الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الألباني | المصدر: فقه السيرة

أثر هذه الكلمات لم يكن هينًا على الأنصار؛ فالنبي ﷺ كان ما يشغل قلبهم، فعندما تحدث إليهم سكنت نفسهم بتطمينه وتفرقوا بعدها.

الموقف الثاني:

كان رسولُ اللهِ ﷺ عند بعضِ نسائهِ فأرسلتْ إحدى أمهاتُ المؤمنين بقصعةٍ فيها طعامٌ فضربتُ يدَ الخادمِ فسقطتْ القصعة فانْفلقتْ فأخذَ النبي ﷺ فضمّ الكسرتين وجمعَ فيها الطعامُ ويقولُ:" **غارتْ أمكُم غارتْ أمكُم**، وقال للقومِ كُلُوا" وحبسَ الرسول ﷺ حتى جاءتْ الأخرى بقصعتِها فدفعَ القصعةَ الصحيحةَ إلى رسولِ التي كُسرتْ قصعتُها وتركَ المنكسرةِ للتي كسرتْ.

الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الطحاوي | المصدر: شرح مشكل الآثار

في هذا الحدث لم يعاتبها النبي ﷺ لأنه يعلم أن ما حصل من غيرتها عليه، وإنما اكتفى بقول: غارت أمكم وأغلق الموضوع.

بعض المواقف ربما لا تحتاج منك أن تتخذ موقفًا، بل تحتاج فقط أن تجعل الأمر **قابلًا للنقاش**، فلا تأخذ الأمر بجريرته وتعطيه أكبر من حجمه.

هناك مواقف بينك وبين من تحب الأصل فيها التغافل والعفو؛ لأنها قد تكون مواقف لحظية غير مقصود بها النزاع لكنها سقطت سهوًا.

الموقف الثالث:

جاء رجل من الأعراب عندما كان النبي ﷺ نائم تحت شجرة بعد عودته من المعركة، فعرفه الأعرابي فقام على رأسِ رسولِ اللهِ ﷺ بالسَّيفِ فقال: مَن يمنَعُك منِّي؟ قال: (اللهُ) قال: فسقَط السَّيفُ مِن يدِه فأخَذ رسولُ اللهِ ﷺ السَّيفَ فقال له: (مَن يمنَعُك منِّي؟) قال: كُنْ خيرًا منِّي قال: (تشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ؟) قال: لا، ولكنْ أُعاهِدُك على ألَّا أُقاتِلَك ولا أكونَ مع قومٍ يُقاتِلونَك قال: فخلَّى سبيلَه فجاء إلى أصحابِه فقال: جِئْتُكم مِن عندِ خيرِ النَّاسِ...

الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان

النبي ﷺ هنا عفا عنه عند مقدرته وليس عند عجزه، هناك مشاكل وخلافات لا تزول إلا بالعفو عنها. ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب.

النبي ﷺ أرشدنا إلى مجموعة من الإجراءات في هذا الغضب، كالوضوء عند الغضب وقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم حتى تصرف كيد الشيطان عنك.

الموقف الرابع:

عندما كان النبي ﷺ يتجهز لفتح مكة أمر الصحابة أن يكتموا الأنباء حتى لا يتجهز كفار قريش لقتالهم، فإذا بالنبي ﷺ يأمر علي بن أبي طالب والزبير بن العوام -رضوان الله عليهم- أن يذهبوا إلى مكان معين ليجدوا عنده امرأة تحمل كتاب، فذهبوا إليها وأخذوا الكتاب منها وعادوا إلى النبي ﷺ به، ففتحه فإذا به: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بأن النبي ﷺ قد قرر الغزو عليهم.

حاطب -رضي الله عنه- ليس منافقًا، هو من أوائل المهاجرين، ممن قاتل مع رسول الله في بدر وأحد. فلما جاء حاطب، قال له النبي ﷺ:"يا حَاطِب، ما هذا؟" **وهذا من رحمته أنه سمح له بالتبرير.**

فقال حاطب -رضي الله عنه-: " يا رَسولَ اللَّهِ، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا في قُرَيْشٍ، يقولُ: كُنْتُ حَلِيفًا، ولَمْ أكُنْ مِن أنْفُسِهَا، وكانَ مَن معكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ مَن لهمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أهْلِيهِمْ وأَمْوَالَهُمْ، فأحْبَبْتُ إذْ فَاتَنِي ذلكَ مِنَ النَّسَبِ فيهم، أنْ أتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، **ولَمْ أفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عن دِينِي، ولَا رِضًا بالكُفْرِ بَعْدَ الإسْلَامِ**، فَقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، دَعْنِي أضْرِبْ عُنُقَ هذا المُنَافِقِ، فَقالَ: إنَّه قدْ شَهِدَ بَدْرًا، وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ علَى مَن شَهِدَ بَدْرًا فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ."

الراوي: علي بن أبي طالب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري

لاحظوا كيف لا ينسى رسول الله تلك المواقف الأولى، ولا ينساها الله عز وجل لك!

حينَ يكون لك الموقف الأول.. وحين تؤثر طريق التوبة حين انتكاس الناس!

لذلك النبي ﷺ لم يقتل حاطب على ما فعل لأنه شهد بدرًا، ولمواقفه الأولى!

سهل أن تظهر أخلاقك في لحظات السراء،
لكن في لحظة الضراء والغضب والانفعال،
من يستطيع إمساك نفسه؟

نصرة النبي ﷺ ليست مادية فقط، وإنما تكون نصرته في أن نتحول حقيقة إلى نماذج عن النبي ﷺ.

فاللهم أعنّا أن نتأسى بهديه ونحتذي بسنته ﷺ.

بإمكانك متابعة وقراءة محاضرات رواء الاثنين; من خلال زيارة مدونة رَوَاء : https://rawaa.org/